وَخَـثْـعَـمُ قَـدْ صَـبَـحْـنـاهـا صَـبـاحـاً
بُـكُـوراً قَـبْـلَ مَـا نَـادَى الـمُـنـادِي[١]
غَـدَوْا لَـمّـا رَأَوْا مِـنْ حَـدّ سَـيْـفـي
نَـذيـرَ الـمَـوْتِ فـي الأرْوَاحِ حـادِي[٢]
وَعُـدْنَـا بـالـنِّـهَـابِ وَبـالـسَّـبَـايـا
وَبـالأسْـرَى تُـكَـبَّـلُ بـالـصّـفَـادِ[٣]

يا عبل ضيعت العهود

[الوافر]

ألا يـا عَـبْـلَ! ضَـيَّـعْـتِ الـعُـهُـودا،
وَأمْـسـى حَـبْـلُـكِ الـمـاضـي صُـدُودا[٤]

= بجياد تجلب جلبة كدوي الرعد لكثرة الفرسان، فإذا بفرسانها يفرّون من حسن بلاء الشاعر بهم في ربى تلك الديار، وهو لا يتوانى يلاحقهم يطعن بالفارّين منهم، فإذا بدمائهم تنهمر كأنها قرب فتحت أفواهها.

(١)، (٢) وكذلك يذكر الشاعر ما حلّ بقبيلة خثعم، فقد باكرها مع طلوع الفجر، وقد سبق المنادي القوم للاستعداد لردّ الغارة، ولكن فقد فات الأوان، وذلك أن الخوف من سيفه جعلهم لا يدرون ما يفعلون ولذلك غنّى الحادي غناء الموت الحزين في ربوعهم.

(٣) وكانت النتيجة انتصاراً عظيماً، وقد حمل بنو عبس الأسلاب والسبايا من النساء، والأسرى معهم، وهم في حالة ذلّ وهوان، قد قيّدوا بالحديد والأصفاد.

(٤) ينبّه الشاعر عبلة إلى ما حلّ بهما بعد ما كان بينهما من ودّ وحبّ؛ لقد ضيعت ذكريات حلوة، وما عاد للعهود من معنًى، وحلّ مكانها هجر وبعد؛ وهذا ما يجعل الشاعر يقاسي من آلام الحرمان ونكران الحبّ الصادق.

وَمَـا زَالَ الـشَّـبَـابُ وَلا اكْـتَـهَـلْـنَـا
وَلا أبْـلَـى الـزَّمَـانُ لَـنَـا جَـديـدا[١]
وَمَـا زَالَـتْ صَـوارِمُـنَـا حِـدَاداً،
تَـقُـدُّ بـهَـا أنـامِـلُـنَـا الـحَـديـدا[٢]
سَـلـي عَـنّـا الـفَـزَارِيّـيـنَ لَـمّـا
شَـفَـيْـنَـا مِـنْ فَـوَارِسِـهَـا الـكُـبُـودا[٣]
وَخَـلّـيْـنَـا نِـسَـاءَهُـمُ حَـيَـارَى،
قُـبَـيْـلَ الـصُّـبْـحِ، يَـلْـطِـمْـنَ الـخـدُودا[٤]
مَـلأنَـا سَـائِـرَ الأقْـطَـارِ خَـوْفـاً،
فـأضْـحَـى الـعَـالَـمُـونَ لَـنـا عَـبـيـدا[٥]
وَجَـاوَزْنَـا الـثُّـريّـا فـي عُـلاهـا،
وَلَـمْ نَـتْـرُكْ لـقَـاصِـدِنَـا وُفُـودا[٦]

---

(١) الشباب ربيع العمر، والشاعر في ميعة الشباب يودّ التمتّع بما تمليه هذه المرحلة على أصحابها من حبّ ومغامرة وأهداف، لم يكتهل، ولا يزال العمر يخطو خطواته الأولى في الحياة.

(٢) لم يحدث أيّ تغيّر سلبيّ، فسيوف الشاعر تحملها أيدٍ وتقبضها أنامل لا ترتعش جبناً بل تُحسن الإمساك بقوّة وعزم، فإذا بالحديد لم يمنع أصحابه من الهلاك لشدّة ضربات عنترة.

(٣)، (٤) يطلب الشاعر من عبلة أن تستعلم عن حسن فعاله، فها هم الفزاريون كانوا قد تجرّعوا مرارة الهزيمة، وقد كان عنترة مغيظاً منهم، فإذا به يشفي نفسه لكثرة ما أنزل بفرسانهم من تنكيل فإذا بكبده يستريح، ونساؤهم في حيرة يتساءلْن ما الذي حدث؟ ولماذا حدث؟ وهنّ يلطمْن الخدود لما حلّ بالرجال منهم على يديه.

(٥)، (٦) يفخر الشاعر ببني قومه: إنهم مصدر رعب لكلّ من عاداهم، فسمَوْا =

إذا بَـلَـغَ الـفِـطَـامَ لَـنـا صَـبـيٌّ،
تَـخِـرُّ لَـهُ أعَـادِيـنَـا سُـجُـودا[١]

فَـمَـنْ يَـقْـصِـدْ بـدَاهِـيَـةٍ إلَـيْـنَـا
يَـرَى مِـنّـا جَـبَـابِـرَةً أسُـودا[٢]

وَيَـوْمَ الـبَـذْلِ نُـعـطـي مَـا مَـلَـكْـنَـا
وَنَـمْـلا الأرْضَ إحْـسَـانـاً وَجُـودا[٣]

وَنُـنْـعِـلُ خَـيْـلَـنـا فـي كُـلّ حَـرْبٍ
عِـظَـامـاً دامِـيَـاتٍ أوْ جُـلُـودا[٤]

فَـهَـلْ مَـنْ يُـبْـلِـغ الـنُّـعْـمَـانَ عَـنّـا
مَـقَـالاً سَـوْفَ يَـبْـلُـغـهُ رَشـيـدا[٥]

= فوق العالمين الذين خضعوا لهم وأصبحوا عبيدهم، فطموحهم جعلهم يتخطّوْن الثريا ذلك النجم الذي يتربّع كبد السماء، لذا استحال على الآخرين اللحاق بهم فيمسكون بأكناف السماء.

(١)، (٢) والمغالاة بالفخر حمل الشاعر على الغلو حتى إن الطفل الصغير إذا تخطّى مرحلة الفطام أجبر الأعداء على الخضوع له، لهذا فلا يمكن لأحد أن يبغي لنا الشرّ، وإن فعل فسوف يرى الأسود يزأرون جبراً وحنقاً، فيرتعب ويدبّ فيه الخوف.

(٣) وهم دائماً رابحون سبّاقون في الخيرات، فإذا كان يوم الكرم تنازلوا على ما بأيديهم للمحتاجين، حتى يفيض إحسانهم ويغطي الأرض على اتساعها.

(٤) ولكثرة ما يسفكون دماء أعدائهم، فإنهم استعملوا عظام قتلاهم نعالاً لجيادهم أو جعلوها جلوداً لها.

(٥) وصل التحدي إلى أقصى مداه حتى وصل إلى النعمان بن المنذر ملك الحيرة، والرسالة يحملها عاقل منا لا يرهب الوقوف بين يدي الملك لرجاحة عقله.

إذا عَـادَتْ بَـنُـو الأعْـجَـامِ تَـهْـوِي
وَقَـدْ وَلّـتْ وَنَـكّـسَـتِ الـبُـنُـودا[١]

تعيّرني العدا بسواد جلدي

قال يفتخر:

[الوافر]

أُعَـادِي صَـرْفَ دَهْـرٍ لا يُـعَـادَى
وَأحْـتَـمِـلُ الـقَـطِـيـعَـةَ وَالـبِـعَـادا[٢]
وَأُظْـهِـرُ نُـصْـحَ قَـوْمٍ ضَـيّـعُـونـي،
وَإنْ خَـانَـتْ قُـلُـوبُـهُـمُ الـوِدادا[٣]
أُعَـلِّـلُ بـالـمُـنـى قَـلْـبـاً عَـلِـيـلاً،
وَبـالـصّـبْـرِ الـجَـمِـيـلِ وَإنْ تَـمَـادى[٤]

(١) هاهم الفرس يرهبون ضربات بني عبس، فإذا بأعلامهم تتحطّم وتنكس وهم يولّون الأدبار جبناً ورعباً.

(٢) الشاعر في عداء دائم؛ فالبشر أعداء تقليديون يمكن الانتصار عليهم أما الدهر فإنه عدوّ ليس بمقدور البشر الدخول في عداء معه، فهو المنتصر دائماً. يستطيع الشاعر تحمّل القطيعة من الأحبة والبعد عنهم، والدهر هو الذي قضى بذلك.

(٣)، (٤) موقفان متعارضان؛ فالشاعر صادق النصح لبني قومه وقومه تنكروا له فأضاعوه بقلوب ملؤها غش وخداع وخيانة حتى الوداد والحبّ انمحت معالمه من قلوبهم. ورغم ذلك فإنه يمني قلبه المريض بالأماني الجميلة ويحمله على الصبر لعلّ الأمور قد تتبدّل، وإن تمادى بكرهه لتلك العلاقات المريضة.